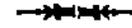


السيد محمد رشيد رضا

بمناسبة مرور خمسة أعوام على وفاته

للأستاذ محمود أبو رية



من حق شيخنا الإمام السيد محمد رشيد رضا علينا أن تؤدي بعض ما يجب له من التنويه بفضلته ، والإشادة بذكوره ما أتاحت لنا الفرص وما واتقنا المناسبات . وكذلك من الحق على الرسالة للفرء وقد حملت علم المرية في لغتها ودينها أن تتعنى بهذا الإمام الجليل فتخصصه بجانب من عنايتها ، وتعمل لأرائه نصيباً من صفحاتها ، ومن أولى هذه الحفاوة منها وهي أحق بها وأهلها ؟ هذا ما يجب علينا وعلى الرسالة ، لأن هذا الحجة الثبت ليس من كبار علماء عصره غضب ، وإنما هو ولا ريب من كبار أئمة الإسلام على مد عصوره ، خدم دينه وأمنته بما لم يخدمها أحد قبله منذ قرون طويلة ، وخلف آثاراً خالدة في دراسة الدين الإسلامي لم يكتب قلم عالم من قبل مثلها - ونحن نعرف ما نقول - وفسر كتاب الله تفسيراً هو معجزته في هذا العصر . إذ لكل عصر تفسير يكشف لأهله عما فيه من أسرار رائعة وآيات بينة حتى تظل حجة الله قاعة ومعجزة رسوله دأمة ؟ ونحن فيما نكتب

والشاعر على محمود طه قد تأثر في قصيدته محنة باريس المنشورة بالرسالة عدد (٣٦٩) بمقال للدكتور طه حسين بك في الثقافة عنوانه باريس (عدد ٧٧) فالدكتور طه حسين بك يقول : (ليست باريس رقعة من الأرض) ، والشاعر على محمود طه يقول مخاطباً باريس :

لست بنياناً ولا أرضاً ولا غاب آساد ولا جنة غيد

هذه كلمة أحييت أن أقرها بمناسبة كلمتين نشرتا في الرسالة بعنوانين هما « من مجائب الاجتهاد » و « من مجائب الفهم » . وما أود أن أعظم بها فضل ذي فضل ؛ وإنما هي كلمة حق لعلها تضع حداً للأموال ليس من مصلحة الأدب كتبها والسلام .

(للنصورة) محمد عبد الفتاح موسى

عنه اليوم لا نحاول أن نترجم له ترجمة تحليلية مفصلة تحيط بنواحي عبقريته وتنفذ إلى أقطار إمامته ؛ فإن ذلك يحتاج إلى مؤلف كبير برأسه نرجو أن نوفق فيه ويميننا الله عليه ؛ وإنما ننشر بمناسبة مرور خمسة أعوام على وفاته صفحة من تاريخه تصور ناحية من فضله وتظهر قسماً من أعماله يضيء جانباً من علمه

نبت شيخنا الجليل ونشأ في قرية (القلمون) من قرى الشام ؛ ولما قرأ القرآن والخط وقواعد الحساب أدخل معاهد العلم بمدينة (طرابلس) ، وبعد أن أتم الدراسة فيها على ما يجري عليه نظام للتدريس في هذه المعاهد واستوفى كل العلوم الدينية والأدبية على أكابر شيوخ الدين والأدب فيها هاجر إلى مصر لاجئاً في رجب سنة ١٣١٥ طالماً دارساً . وكان الذي ساقه إلى الهجرة إلى مصر أن آانس في نفسه أنه يستطيع خدمة دينه وأمنته بما أوتي من حدة للفؤاد واستقامة للفكر وما وهب من قوة الإرادة وكمال الاستعداد ، وأن ذلك غير مستطاع في بلاده إذ كانت يومئذ بين ما ضنى للظلم المتروكي ، قال رحمه الله في ذلك :

« فعزمت على الاتصال بالسيد جمال الدين لتكميل نفسي بالحكمة والجهاد في خدمة الملة ، فلما توفاه الله تعالى إليه واشتهر أن للسياسة الجديدة هي التي قضت عليه ضاقت على الملكة العثمانية بما رحبت وعزمت على الهجرة إلى مصر لما فيها من حرية للعمل واللسان والقلم ، وكان أعظم ما أرجوه من الاستفادة في مصر الوقوف على ما استفادته للشيخ عمر عبده من الحكمة والخبرة وخطة الإصلاح التي استفادها من صحبة السيد جمال الدين ، وأن أحمل معه ويارشده في هذا الجو الحر »

وقد اتصل بالأستاذ الإمام محمد عبده من أول يوم هبط فيه مصر وكان معه كما قال رحمه الله : « كاللازم والمزوم اللذين لا ينفك أحدهما عن الآخر » يستزيد من علمه ، ويستضيء بحكمته إلى أن سار ترجمان أفكاره والمبر عن آرائه ، ولم يلبث قليلاً في حياته الجديدة حتى أخذ نفسه بما جاء من أجله ، فأنشأ مجلة (المنار) وصدر أول عدد منها في اليوم الثاني وللمشربين من شهر شوال سنة ١٣١٥ وقد جعل غرضها الأول :

« الحث على تربية البنات والبنين ، والترغيب في تحصيل

العلوم والفنون ، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم ، والتنشيط على مجاراة الأمم المتقدمة في الأعمال النافعة ، وطروق أبواب الكسب والاقتصاد ، وشرح المخائل التي مزجت عقائد الأمة ، والأخلاق الرديئة التي أفسدت الكثير من عوائدها ، والتعليم الخادعة التي لبست للنبي بالرشاد ، والتأويلات للباطلة التي شئت الحق بالباطل ، حتى صار الجبر توحيداً ، وإنكار الأسباب إيماناً ، وترك الأعمال المفيدة توكلاً ، ومعرفة الحقائق كفرأ وإلحاداً ، وإبداء المخالف في المذاهب ديناً ، والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحاً ، واختبال العقل وسفاهة الرأي ولاية وعرفاناً ، والذلة والمهانة تواضعاً ، والخشوع للظلم والاستسلام للضمير رضى وتسليماً ، والتقليد الأعمى لكل متقدم عدماً وإيقاناً الخ »

كان الذي يرى إليه شيخنا المحدث للفقير ويدأب عليه في عمله هو « الإصلاح الديني والاجتماعي وبيان اتفاق الإسلام مع العلم والعقل وموافقته لمصالح البشر في كل قطروفي كل عصر » وكان رأيه الذي لا ينفك يجاهر به من يوم أن أنشأ فيه مجلته أن الدعوة إلى هذا الإصلاح لا تكون إلا « بهداية الكتاب والسنة ، لأنهما مشتملان على كل ما يحتاج إليه لأجل الهداية والنهضة الاجتماعية »

وهذه الطريقة في الإصلاح هي التي وضع أساسها موقظ الشرق السيد جمال الدين ، وعمها تلميذه الأكبر الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله ؛ ثم جاء شيخ الإسلام السيد رشيد فرغ قواعدها وأتم بناءها ، ولولاه لاندك هذا الأساس وغطاء تراب النسيان ...

ولم يكن ما دعا إليه شيخنا رحمه الله سهلاً ولا طريقه ميسرة ، وبخاصة في مثل الزمن الذي ظهرت فيه دعوته ، فقد وجد في سبيله ما يجده المصلحون في أممهم من العنت والأذى ، فخورب من نواح متعددة لا يصمد لثقلها إلا كل مصلح قوى ، وشجاع كى . وقد بين رحمه الله تلك للنواحي التي عادت النار فقال :

« عاداه المرتزقون بالخرافات والبدع من أهل الطريق وغيرهم ، وعاداه علماء الجود ، وعاداه النفوذ الاستعماري الدولي ، وعاداه دعاة التنوير والتفريخ الإلحادى » وقبل ذلك عادته الدولة العثمانية

من أول ظهوره وأذنه في أهله بيلاده وكان الذي أثار عليه أعاصير هذه العداوات لتزعزع من أركانه ، وتهدم من بنيانه ، أن كان لا يألو جهداً في الدعوة إلى حرية الفكر ، والاستقلال في فهم العلم الذي لا ينال للعلم الصحيح بدونه ، وترك التقليد وعدم التقييد بمذهب من المذاهب لأن التقييد بالمذاهب يدعو إلى التمسب لها؛ والتمسب، وهو مغض إلى التهاقض ، يتناقى الوحدة الإسلامية ، ويخالف نصوص القرآن . وكان هو للعالم الوحيد بمد عصر الأئمة المجتهدين الذي يجاهر بأنه لا يقلد في عقائده ولا في عباداته أحداً من الأئمة ، فكان لا يعبد إلا الله ولا يعبد إلا بما أمر، وإذا تنازع مع أحد في شيء لا يزد للتنازع إلى أحد من الأئمة والشايخ وإنما كان يرد إلى الله والرسول أى إلى الكتاب والسنة . ولقد كان أشد للناس عداوة له دجاجة للقبوريين من الشيوخ الرسميين الجامدين ومن يتبع نبيقتهم من الإمامت الجاهلين الذين هم بلاء الأمم وأرزاء الشعوب

وإذا كان الكلام عن نواحي الإصلاح التي ضرب فيها شيخنا السيد رشيد متعددة والحديث عنها يحتاج إلى مقالات طويلة ودراسة مستفيضة كما أننا من قبل، فإنا تقصر كلامنا لليوم من ترجمته على ما سى في سبيل إصلاح الأزهر وتجديد الدين الإسلامى . وما انتحننا هذا للنحو إلا لمناسبة حركة الإصلاح القاعة بهذا المعهد اليوم، ولأن مجلة الرسالة للنراء قد جملت تجديد الدين من أهم أغراضها ، وجرت الأقلام بهذا الأمر على صفحاتها لعل فيها تذكره تبصرة للمصلحين ومعيناً للمجددين

ولا يفوتنا أن نذكر أن الذى دعا شيخنا رحمه الله إلى ذلك أن وجد هذا المعهد الكبير لا يدرس فيه الدين وعلومه كما يجب أن تكون الدراسة الحق بل كان « التفسير في دراسة الإسلام فيه أمر ظاهر » كما بين ذلك أبلغ بيان أديب العربية الكبير « محمد إسحاق النشاشيبي » في كتابه للتفيس المتع (الإسلام الصحيح)

ولقد كان أول نقد صريح وجهه (المنار) إلى علماء الأزهر الذى صدر في شهر شعبان سنة ١٣١٦ عن بدعة احتفالهم بمولد

أضدت للعقائد والأخلاق والأعمال وروجت في المسلمين أسواق
الدجل والخرافات... ولا سيما بدع الموالد وعبادة القبور والمشاهد،
وأكبر مفاسدها اشتراك علماء الأزهر فيها وسكوت غير
المشركين فيها عن إنكارها فكانوا بذلك قدوة سيئة للمؤمنين،
وفتنة منكرة للمتململين عن الإسلام، وحجة للكافرين على المسلمين
٣ - الرجوع إلى هداية القرآن العليا وهدى السنة النبوية
التي في تصحيح العقائد وتزكية الأنفس وتمذيب الأخلاق،
والاتباع المحض في العبادات على منهاج السلف الصالح وهو يتوقف
على إحياء علوم التفسير والسنة وآثار السلف

٤ - إصلاح نظام التربية والتعليم والتصنيف بالأساليب

المصرية

٥ - إدخال علوم البشر في الجامع الأزهر ومعاهد التعليم

التابعة له

٦ - اتباع سفة التخصص (أو الإحصاء) في العلوم والفنون

٧ - إعادة ثقة الأمة بالعلماء إلى ما كانت عليه في عصور

الإسلام الحية

٨ - الدفاع عن الإسلام بالرد على الملاحدة ودعاة النصرانية

ودحض شبهاتهم

٩ - الوعظ والإرشاد العام للمسلمين

١٠ - الدعوة إلى الإسلام في الشرق والغرب بعد الاستعداد لها

هذه هي خلاصة جهاده رحمه الله في سبيل إصلاح الأزهر

وإذا كان رحمه الله قد ذكر في آخر حياته أن كليات الأزهر

قد اقتضت بأكثر ما دعا إليه وأنها ستأخذ به كله وإلا فإن ذلك

فإن شاء الله لمطمئنون كذلك بأن الأزهر سينبع الثروة التي

يستأهلها في العالم كله على مد أقطاره مادام الذي يقبض على زمامه

اليوم هو الإمام المرائي وما دام شباب من حوله يؤيدونه

ويتبعون سبيله

وإلى هنا تقف في القول في ترجمة شيخنا المحدث للفقير

السيد محمد رشيد رضا، ولكيلا يرمينا أحد بالتلو فيما تحدثنا به عنه

نطرز ما قلنا بمباراة رائمة في وصفه للأستاذ الأكبر شيخ الجامع

الإمام الشافعي الذي يسمونه (الكلمة) إذ كانوا يكنسون قبة
الضريح ويقسمون كنياسها بينهم للتبرك بها ويكون نصيب كل
واحد منهم في هذه الكناسة بمقدار درجته العلمية، وكذلك كانوا
ينقلون للمامة التي على المقام من رأس عالم إلى رأس آخر ليستزيدوا
من البركات ويستكثروا من النفعات. ورحم الله شيخنا المحدث
العموي الكبير الشيخ محمد محمود الشنقيطي فقد سحت قريحته
بقصيدة رائمة في هاتين العبادتين الوثنيتين اللتين يقترنهما علماءنا
مصاييح للظلام، وأمة الهدى الأعلام؛ ولو كان المجال ذا سمة
لا وردنا هنا هذه القصيدة المصماء، ليمجج القراء بها، ويتندروا
بما جاء فيها

وكان أول انتقاد على علماء الأزهر أن أحد أعضاء مجلس

إدارة الأزهر وهو الشيخ أحمد الرفاعي كان يجادل يوماً الأستاذ

الإمام محمد عبده في أمر علم السنة وتعليمها، فكان مما قال هذا

الشيخ: «إن علم السنة لا حاجة إليه، ولا يجوز لمسلم أن يأخذ

بالحديث، بل (الواجب) الأخذ بكلام الفقهاء، ومن يترك فقهاء

مذهبه للأخذ بحديث مخالف فهو زنديق» ١

ثم أخذ المنار يبين لشيوخ الدين أنهم أبعد الناس عن معرفة

فن التعليم، وأنهم لا يقرنون العلم بالعمل، وكان يحتمهم دائماً على

المنابة بعلم الأخلاق. ولما وجدتم يصدون عن تعليم العلوم الرياضية

والطبيعية، وأن كبارهم يفتنون بأن هذه العلوم لا لزوم لها، صاح

فيهم: «إن الإصلاح الإسلامي يتوقف قبل كل شيء على إقتناع

العلماء ورجال الدين بأن العلوم الرياضية والطبيعية التي هي محور

الثروة والقوة لازمة لا مندوحة عنها، ويجب أن تعلم مع الدين»

ومما عابه عليهم وأخذهم به أنهم يشاركون العامة في الخرافات

والبدع ولا يكتفون بذلك بل يدعون الناس إليها ويحضونهم عليها

بما جعلنا نضحكة بين الأمم وسخرية بين الشعوب، ولأن هذه الكلمة

لا تحتمل تفصيل القول في جهوده لهذا الإصلاح فإننا نأتي بها

بجملتها وهي:

١ - استقلال الفكر وحرية العقل في العلم واجتباب تقليد

العلماء والكتب فيه

٢ - إبطال البدع والخرافات، والتقاليد والمعادن التي

والناظرة؛ ومن الحق أن نذكر أن هذه الأعمال الصالحة قام بها
احتساباً وأداها في سبيل الله

فرحة الله على السيد رشيد وجزاه الله في الإسلام أحسن
ما يجازى به رجل وهب حياته للعلم والدين». ونحن نكرر طلب
الرحمة والرضوان من الله تعالى عليه، إنه سميع الدعاء.
محمد أبو رية (النصورة)

الأزهر، ذلك الإمام الجليل الموصوف بسعة العلم وبمد للنظر ودقة
التعبير، نجعلها مسك الختام

قال حفظه الله في خطاب بليغ ألقاه في حفلة تأييده:
« كان فقيد الإسلام السيد محمد رشيد رضا محيطاً بعلوم
القرآن، وقد رزقه الله عقلاً راجحاً في فهمه، ومعرفة أسراره
وحكمه، واسع الاطلاع على السنة وأفضية الصحابة وآراء

العلماء عارفاً بأحوال المسلمين في الأقطار
الإسلامية، ملماً بما في العالم من بحوث
جديدة، وبما يحدث من المارك بين
العلماء وأهل الأديان؛ فهو ممن أوتي
الحكمة وورق الخير الكثير

وقد كان - بلا شبهة - أكبر
المدافعين عن قواعد الإسلام وأشدهم
غيرة عليها، فنى في خدمة دينه وجاهد
في الله حق جهاده وأودى في سبيل مبادئه
وصبر وصابر إلى أن توفى رحمة الله عليه
كان مبدؤه مبدأ جميع علماء السلف:
التعاكم إلى الله ورسوله عملاً بقوله
تعالى (فإن تنازعتم في شئ فردوه
إلى الله والرسول)

وكان مبدؤه مبدأ علماء السلف
أيضاً: تخيير الأحكام المناسبة للزمان
والنافعة للأمة في مواضع الاجتهاد
وكان مبدؤه مبدأ علماء السلف
في كل ما يتعلق بذات الإله سبحانه
وصفاته، وكل ما يتعلق باليوم الآخر؛
فهو رجل سنى سلقى يكره التقليد
وينادى بالاجتهاد وبراء فرضاً على نفسه
وعلى كل من قدر عليه

من الحق أن نمد السيد رشيد من
المجددين، وأن نمده من المجاهدين في
إحياء السنة، ومن الحق أن نعتبر بما
كان للسيد رشيد من أناة وصبر في
البحث والقراءة، والتأليف والفتوى

شركة بيع المصنوع المصري

بيوتنا في هير وضاها...



★ الجمال
★ الذوق
★ المتانة

علاوة على رخص أسعارها